محمود درويش

سرير الغريبة

الطبعة الثانية

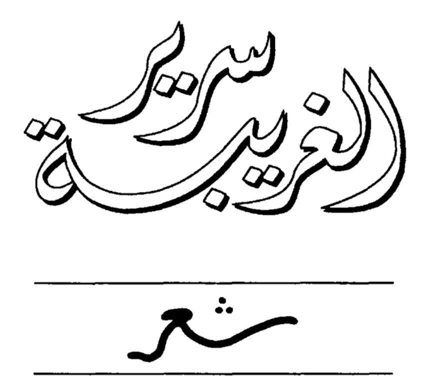




بريشة حسن ادلبي


سرير الغريبة

محمود درويش


سرير الغريبة
شعر


رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES
BOOKS

BED OF A STRANGER

POEMS

BY

MAHMOUD DARWISH

First Published in 1999
Second Edition February 2000

BEIRUT - LEBANON

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1 85513 291 5

تصميم الغلاف: محمد حمادة

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ١٩٩٩

الطبعة الثانية: شباط/فبراير ٢٠٠٠

القصائد

كُتبت هذه المجموعة
في عامي ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧

كان ينقصنا حاضر

لِنَذْهَبْ كما نَحْنُ:
سيِّدةً حُرَّةً
وصديقاً وفيّاً،
لنذهبْ معاً في طريقَيْنِ مُخْتَلِفَيْن
لنذهَبْ كما نحنُ مُتَّحِدَيْن
ومُنْفَصِلَيْن،
ولا شيءَ يُوجِعُنا
لا طلاقُ الحمام ولا البردُ بين اليَدَيْن
ولا الريحُ حول الكنيسة تُوجِعُنا...

لم يكن كافياً ما تفتَّح من شَجَر اللوز
فابتسمي يُزْهِرِ اللوزُ أكثرَ
بين فراشات غمازَتَيْن.

وعمَّا قليلٍ يكونُ لنا حاضرٌ آخَرٌ
إن نَظَرْتِ وراءك لن تبصري
غيرَ منفى وراءك:
غُرْفَةُ نومِكِ،
صفصافةُ الساحةِ،
النهرُ خلف مباني الزجاج،
ومقهى مواعيدنا... كُلُّها، كُلّها
تَسْتَعِدُّ لتصبح منفىً، إذاً
فلنكن طيّبين!

لِنَذْهَبْ كما نَحْنُ:

إنسانةً حُرّةً

وصديقاً وفيّاً لناياتها،

لم يكن عُمْرُنا كافياً لنشيخ معاً

ونسيرَ إلى السينما متعبين

ونَشْهَدَ خاتمةَ الحرب بين أَثينا وجاراتها

ونرى حفلة السلم ما بين روما وقرطاج

عمَّا قليل.

فعمَّا قليلٍ ستنتقل الطَيْرُ من زَمَنٍ نحو آخرَ،

هل كان هذا الطريقُ هباءً

على شَكْل معنى، وسار بنا

سَفَراً عابراً بين أسطورتين

فلا بُدَّ منه، ولا بُدَّ منا

غريباً يرى نَفْسَهُ في مرايا غريبته؟

«لا، ليس هذا طريقي إلى جَسَدي

«لا حُلول ثقافيَّةً لهُمُومِ وُجوديَّةٍ

«أَينما كنتَ كانت سمائي
حَقِيقيَّةً
«مَنْ أَنا لأُعيد لَكَ الشَمْسَ والقَمَرَ السابقين
فلنكن طيّبين ...

لنذهبْ، كما نحن:
عاشقةً حُرَّةً
وشاعِرَها.
لم يكن كافياً ما تساقط من
ثلج كانون أَوَّلَ، فابتسمي
يندف الثلج قطناً على صلوات المسيحيِّ،
عمَّا قليلٍ نعود إلى غَدِنا، خَلْفَنا،
حَيْثُ كُنَّا هناك صغيرين في أَوَّل الحب،
نلعب قصة روميو وجولييت
كي نتعلَّم مُعْجَمَ شكسبير...

طار الفَرَاشُ مِنَ النَوْمِ
مثل سرابِ سلامٍ سريع
يُكَلِّلُنا نجمتين
ويَقتلُنا في الصراع على الاسم
ما بين نافذتين
لنذهب، إذاً
ولنكن طيِّبين

لِنَذْهَبْ، كما نَحْنُ:
إنسانةً حُرَّة
وصديقاً وفيّاً،
لنذهَبْ كما نحن. جئنا
مَعَ الريح من بابلٍ
ونسيرُ إلى بابلٍ ...
لم يَكُنْ سَفَرِي كافياً
ليصير الصُنَوْبَرُ في أَثَري

لفظةً لمديح المكان الجنوبيِّ
نحن هنا طَيِّبونَ. شَماليَّةٌ
ريحُنا، والأغاني جَنُوبيَةٌ
هل أَنا أَنتِ أُخرى
وأَنت أَنا آخر؟
«ليس هذا طريقي إلى أرض حُرِيَّتي
ليس هذا طريقي إلى جَسَدي
وأَنا، لن أكون «أنا» مَرَّتين
وقد حلَّ أَمسِ مَحَلَّ غدي
وانقَسَمْتُ إلى آمرأتين
فلا أَنا شرقيَّةٌ
ولا أنا غربيَّةٌ،
ولا أَنا زيتونةٌ ظَلَّلَتْ آيَتَيْنْ
لِنَذْهَبْ، إذاً.
«لا حلولَ جماعيَّةً لهواجسَ شخصيَّةٍ
لم يكن كافياً أَن نكون معاً

لنكون معاً...
كان ينقُصُنا حاضرٌ لنرى
أَين نحن. لنذْهَبْ كما نحن،
إنسانةً حُرَّةً
وصديقاً قديماً
لنذهبْ معاً في طريقين مختلفين
لنذهب معاً،
ولنكن طيّبين...

سوناتا [I]

إذا كُنْتِ آخرَ ما قالَهُ اللهُ لي، فليكُنْ
نزولُكِ نُونَ الـ «أَنا» في الـمُثَنَّى. وطوبى لنا
وقد نَوَّر اللوزُ بَعْدَ خُطَى العابرين، هنا
على ضفتيك، ورفَّ عليك القطا واليمامُ

بقَرْنِ الغزال طَعَنْتِ السماء، فسال الكلامُ
ندى في عروق الطبيعة. ما ٱسمُ القصيدةْ
أَمام ثُنَائيَّة الـخَلْقِ والحق، بين السماء البعيدة
وأَرْزِ سريركِ، حين يحنُّ دَمٌ لدمٍ، ويئنُّ الرخامُ؟

ستحتاجُ أسطورةٌ للتشمُّس حولك. هذا الزحامُ
إلٰهاتُ مِصْرَ وسُومَرَ تحت النخيل يُغيِّرن أَثوابهنَّ
وأَسماءَ أَيامهن، ويُكْملن رحلاتهنَّ إلى آخر القافية...

وتحتاج أنشودتي للتنفُّسِ: لا الشعرُ شعرٌ
ولا النثرُ نثرٌ. حلمت بأَنَّكِ آخرُ ما قالَهُ
ليَ اللهُ حين رأيتكما في المنام، فكان الكلامُ...

سماء منخفضة

هُنَالِكَ حُبٌّ يسيرُ على قَدَمَيْهِ الحَرِيرِيَّتَيْنْ
سعيداً بغُرْبَتِهِ في الشوارع،
حُبٌّ صغيرٌ فقيرٌ يُبَلِّلُهُ مَطَرٌ عابرٌ
فِيفيض على العابرين:
«هداياي أكبرُ منّي
كُلُوا حِنْطَتي
وآشربوا خَمْرَتي
فسمائي على كتفيَّ وأَرضي لَكُمْ...

هَلْ شَمَمْتِ دَمَ الياسمينِ المَشَاعَ
وفكَّرْتِ بي
وانتظرتِ معي طائراً أَخضرَ الذَيْلِ
لا آسْمَ لَهُ؟

هُنَالِكَ حُبٌّ فقيرٌ يُحدِّقُ في النهرِ
مُسْتَسْلِماً للتداعي: إلى أَين تَرْكُضُ
يا فَرَسَ الماءِ؟
عما قليل سيمتصُّكَ البحرُ
فامش الهوينى إلى مَوْتكَ الاختياريِّ،
يا فَرَسَ الماء!

هل كنتِ لي ضَفَّتَيْنْ
وكان المكانُ كما ينبغي أن يكون
خفيفاً خفيفاً على ذكرياتِكِ؟

أَيَّ الأغاني تُحِبِّينَ
أيَّ الأغاني؟ أَتلك التي
تتحدَّثُ عن عَطَشِ الحُبِّ،
أَمْ عن زمانٍ مضى؟

هنالك حُبّ فقير، ومن طَرَفٍ واحدٍ
هادىءٌ هادىءٌ لا يُكَسِّرُ
بِلَّوْرَ أَيَّامِكِ المُنْتَقَاةِ
ولا يُوقدُ النارَ في قَمَرٍ باردٍ
في سريرِكِ،
لا تشعرينَ بهِ حينَ تبكينَ من هاجسٍ،
رُبَّما بدلاً منه،
لا تعرفين بماذا تُحِسِّين حين تَضُمِّينَ
نفسَكِ بين ذراعيكِ!
أَيَّ الليالي تريدين، أيَّ الليالي

وما لوْنُ تِلْكَ العيونِ التي تحلُمينَ
بها عندما تحلمين؟
هُنَالِكَ حُبٌّ فقيرٌ، ومن طرفين
يُقَلِّلُ من عَدَد اليائسين
ويرفَعُ عَرْشَ الحَمَام على الجانبين.
عليكِ، إذاً، أَن تَقُودي بنفسِكِ
هذا الربيعَ السريعَ إلى مَنْ تُحبّينَ
أَيَّ زمانٍ تريدين، أَيَّ زمان
لأُصبحَ شاعِرَهُ، هكذا هكذا: كُلَّما
مَضَتِ آمرأةٌ في المساء إلى سرِّها
وَجَدَتْ شاعراً سائراً في هواجسها.
كُلَّما غاص في نفسه شاعرٌ
وَجدَ امرأةً تتعرَّى أَمام قصيدتِهِ...

أَيَّ منفىً تريدينَ؟

هل تذهبين معي، أَمْ تسيرين وَحْدَكِ
في آسْمك منفىً يُكَلِّلُ منفىً
بِلأْلاَئِهِ؟

هُنَالِكَ حُبٌّ يَمُرُّ بنا،
دون أَن نَنْتَبِهْ،
فلا هُوَ يَدْري ولا نحن نَدْري
لماذا تُشرِّدُنا وردةٌ في جدارٍ قديم
وتبكي فتاةٌ على مَوْقف الباص،
تَقْضِمُ تُفَّاحَةً ثم تبكي وتضحَكُ:
«لا شيءَ، لا شيءَ أكثر
من نَحْلَةٍ عَبَرَتْ في دمي...

هُنالِكَ حُبّ فقيرٌ، يُطيلُ
التأمُّلَ في العابرين، ويختارُ

أَصغَرَهُمْ قمراً: أَنتَ في حاجةٍ
لسماءٍ أَقلَّ ارتفاعاً،
فكن صاحبي تَتَّسعْ
لأَنانيَّةِ آثنين لا يعرفان
لمن يُهْدِيانِ زُهُورَهُما ...
ربَّما كان يَقْصِدُني، رُبَّما
كان يقصدُنا دون أَن نَنْتَبِهْ

هُنَالِكَ حُبّ ...

نمشي على الجسر

تُصابين، مثلي، برحلةِ طَيْرِ
ويحدُثُ ذلك بعد الظهيرةِ،
حيث تقولين: خُذْني إلى النهرِ
يا أَجنبيُّ، إلى النهر خذني
فإنَّ طريقي على ضَفَّتَيْكَ طويلُ

ونُصغي إلى ما يَقُولُ المُشَاةُ
على الجسر:
«لي عَمَلٌ آخرٌ غيرُ هذا،

«ولي مقعدٌ في السفينة
«لي حصَّةٌ في الحياة
«وأَمَّا أَنا،
فعليَّ اللحاقُ بمترو الضواحي
«تأخَّرْتُ عن ذكرياتي
وعن موعد الساكسفون،
وَلَيْلي قليلُ

ونُصغي إلى ما بنا من حنينٍ خفيّ
إلى شارعٍ غامضٍ: لي حياتي هناك
حياتي التي صنعَتْها القوافلُ وانصرَفَتْ،
وهنا لي حياتي على قَدْر خبزي
وأَسئلتي عن مصيرٍ يُعَذِّبُه حاضرٌ
عابرٌ، وغَدٌ فوضويٌّ جَميلُ

صدىً للصدى، أَيُّنا قال هذا الكلام، أَنا
أَمِ الأَجنبيَّةُ؟ لا أَحَدٌ يستطيعُ
الرجوع إلى أَحد. تصنع الأَبديَّةُ
أَشغالها اليدويَّةَ من عمرنا وتُعَمِّرُ...
فليكُنِ الحُبُّ ضرباً من الغَيْبِ، وليكُنِ
الغيبُ ضرباً من الحُبِّ. إني عجبتُ
لمن يعرفُ الحبَّ كيف يُحِبُّ! فقد
يتعَبُ الحُبّ فينا من الانتظار ويمرَضُ،
لكنَّهُ لا يَقُولُ

لدى غدنا ما سيكفي من الوقت، يكفي
لنمشي على الجسر عَشْرَ دقائقَ أُخرى،
فقد نتغيَّرُ عما قليلٍ وننسى ملامح
ثالثِنا/ الموتِ، ننسى الطريقَ إلى البيت
قرب السماء التي خذلتنا كثيراً،

خذيني إلى النهر، يا أَجنبيَّةُ،
قد نتغيَّر عمَّا قليل. وقد يحدثُ
المستحيلُ

كما في الكتابة، يأتي الضروريُّ
في حينه قمراً أُنثوياً لملء فراغ
القصيدة. لا تتركيني تماماً، ولا
تأخذيني تماماً. ضعي في المكان الصحيح
الزمانَ الصحيح. فأنتِ السبيلُ وأَنتِ الدليلُ

بلاد حقيقيَّةٌ، لا مجاز، ذراعاك
حولي... هنالك قرب الكتاب المُقَدَّس
أَو هٰهنا. أَيُّنا قال: قد تحفَظُ
اللغةُ الأَرضَ مما يُلِمُّ بها من
غيابٍ إذا انتصر الشعرُ؟ مَنْ

قال منا: سأنسى، وأَغفر للقلب
أكثر من خطأ واحد، كلما طال
هذا الرحيلُ...

ليلُكِ من ليلكِ

يجلسُ الليلُ حيث تكونين. ليلُك من
لَيْلَكِ. بين حين وآخرَ تُفْلتُ إيماءةٌ
من أَشعَّة غمَّازتَيْك فتكسر كأسَ النبيذ
وتُشْعل ضوء النجوم. وليلُك ظِلُّكِ ـ
قطعةُ أرضٍ خرافيَّةٍ للمساواة ما بين
أَحلامنا. ما أَنا بالمسافر أَو بالـمُقيم على
لَيْلِكِ الليلكيِّ، أَنا هُوَ مَنْ كان يوماً
أَنا، كُلَّما عَسْعَسَ الليلُ فيك حَدَسْتُ
بمَنْزِلَةِ القلب ما بين مَنْزِلَتَيْن: فلا

النفسُ ترضى، ولا الروحُ ترضى. وفي
جَسَدَيْنا سماءٌ تُعانق أَرضاً. وكُلُّك
ليلُكِ... لَيْلٌ يشعُّ كحبر الكواكب. لَيْلٌ
على ذمَّة الليل، يزحف في جسدي
خَدَراً كنُعاس الثعالب. ليل ينثُّ غموضاً
مضيئاً على لُغَتي، كُلَّما اتَّضَحَ آزدَدْتُ
خوفاً من الغد في قبضة اليد. ليلٌ
يُحدِّقُ في نفسه آمناً مطمئناً إلى لا
نهاياته، لا تحفُّ به غيرُ مرآته
وأَغاني الرُعاة القُدَامى لصيف أَباطرةٍ
يمرضون من الحبِّ. ليل ترعرع في شِعْرِهِ
الجاهليِّ على نزوات آمرىء القيس والآخرين،
ووسَّع للحالمين طريقَ الحليب إلى قمرٍ
جائعٍ في أَقاصي الكلامْ...

سوناتا [II]

لعلَّكِ حين تُديرينِ ظِلَّكِ للنهر لا تطلبين
مِنَ النهر غيرَ الغُموض. هُناكَ خريفٌ قليلْ
يَرُشُّ على ذَكَرِ الأَيّلِ الماءَ من غيمةٍ شاردةْ
هُناكَ، على ما تَرَكْتِ لنا من فُتَاتِ الرحيلْ

غموضُك دَرْبُ الحليب. غبارُ كواكبَ لا آسم لها
وَلَيْلٌ غُمُوضُكِ في لُؤْلُؤ لا يُضيءُ سوى الماء،
أَمَّا الكلامُ فمن شأنه أَن يضيء بمفردةٍ واحدةْ

«أُحبُّكِ» لَيْلَ المهاجر بين مُعَلَّقَتَيْن وَصَفَّيْ نخيلْ

أَنا مَنْ رأى غَدَهُ إذْ رآكِ. أَنا مَنْ رأى
أَناجيلَ يكتبها الوثنيُّ الأَخيرُ على سفحِ جلعادَ
قبل البلادِ القديمةِ أَو بعدها. وأنا الغيمةُ العائدةْ
إلى تِينَةٍ تحملُ آسمي، كما يحملُ السيفُ وَجْهَ القتيلْ

لعلَّكِ، حين تُديرين ظلَّك لي، تمنحين المجاز
وقائعَ معنىً لما سوف يحدث عمَّا قليلْ...

وقوع الغريب
على نفسه في الغريب

واحدٌ نحن في اثنين/
لا اسمَ لنا، يا غريبةُ، عند وُقُوع
الغريب على نفسه في الغريب. لَنَا من
حديقتنا خلفنا قُوَّةُ الظلِّ. فلتُظْهري
ما تشائين من أرض ليلك، ولتُبْطِني
ما تشائين. جئنا على عَجَلٍ من غروب
مكانين في زمن واحد، وبحثنا معاً
عن عناويننا: فاذهبي خَلْف ظلِّك،

شَرْقَ نشيد الأَناشيد، راعيةً للقطا،
تجدي نجمةً سَكَنَتْ موتها، فاصعدي جَبَلاً
مُهْمَلاً تجدي أَمسِ يُكْمِلُ دورتَهُ في غدي.
تجدي أَين كنا وأَين نكون معاً،
واحدٌ نحن في آثنين/
فاذهب إلى البحر، غَرْبَ كتابك،
واغطُسْ خفيفاً خفيفاً كأَنَّك تحمل
نَفْسَكَ عند الولادة في موجتين،
تجدْ غابةً من حشائش مائيةٍ وسماءاً
من الماء خضراءَ ، فاغطسْ خفيفاً
خفيفاً كأنك لا شيء في أَيِّ شيء،
تجدنا معاً...
واحدٌ نحن في آثنين/
ينقُصُنا أَن نرى كيف كنا هنا، يا
غريبةُ، ظلِّين ينفتحانِ وينغلقانِ على ما

تشكَّل من شكلنا: جَسَداً يختفي ثم يظهَرُ
في جَسَدٍ يختفي في التباس الثنائية
الأَبدية. ينقُصُنا أَن نعودَ إلى آثنين
كي نتعانق أكثر. لا اسم لنا يا غريبة
عند وقوع الغريب على نفسه في الغريب!

غيمة من سدوم

بَعْدَ لَيْلِكِ، ليلِ الشتاء الأَخير
خَلاَ شارعُ البحر من حَرَسِ الليل،
لا ظلَّ يتبعُني بعدما جَفَّ لَيْلُكِ
في شمس أُغنيتي. مَنْ يقول لي
الآن: دعك من الأَمس واحْلُمْ بكامل
لا وعيك الحُرّ؟
حُرّيتي تجلس الآن قربي، معي، وعلى
ركبتيَّ كقطٍ أليف. تُحدِّق بي وبما
قد تركتِ من الأمس لي: شالكِ

الليلكيَّ، شرائطَ فيديو عن الرقص بين الذئاب، وعقداً من الياسمين على طُحْلُب القلب...

ماذا ستصنع حُرِّيتي، بعد ليلك،
ليل الشتاء الأَخير؟
«مَضَتْ غَيْمَةٌ من سَدُومَ إلى بابلٍ،
من مئات السنين، ولكن شاعرها «بول
تسيلان» آنتحر، اليومَ، في نهر باريس.
لن تأخذيني إلى النهر ثانية. لن يسائلني
حارسٌ: ما آسمُكَ اليومَ؟ لن نَلْعَنَ
الحربَ. لن نَلْعَنَ السلْمَ. لن نتسَلَّقَ سُورَ
الحديقة بحثاً عن الليل ما بين صفصافتين
ونافذتين، ولن تسأليني: متى يفتح
السِلْمُ أبوابَ قلعتنا للحمام؟

بعد ليلك، ليل الشتاء الأخير
أقام الجنودُ معسكرهم في مكان بعيد
وحطَّ على شرفتي قمر أَبيض
وجلست وحُرّيتي صامتين نُحَدِّقُ في ليلنا
مَنْ أَنا؟ مَنْ أنا بعد لَيْلِكِ
ليلِ الشتاءِ الأَخير؟

شادنا ظبية توأمان

مساءاً، على نَمَش الضوء ما بين
نهديك، يقتربُ الأَمسُ والغدُ مَنِّي.
وُجِدْتُ كما ينبغي للقصيدة أَن تُوَجَدَ...
آلليلُ يُولَدُ تحت لِحَافِك، والظلُّ
مُرْتَبِكٌ هٰهنا وهنالك بين ضفافك
والكلماتِ التي أَرْجَعَتْنا إلى نَبْرِها:
«وضعتُ يميني على شَعْرِها
وشِمالي على شادِنَيْ ظَبْيَةٍ توأمين
وَسِرْنا إلى لَيْلنا الخاصِّ...»

هل أَنتِ حقاً هنا؟ أَمِ أَنا
عاشقٌ سابقٌ يتفقَّدُ أَحوالَ ماضِيهِ؟
نامي على نفسك المطمئنَّةِ بين
زُهُور الملاءات. نامي يداً فوق صدري
وأُخرى على ما سيَنْبُتُ من زَغَبٍ لِفِراخ
اليمامات. نامي كما ينبغي للحديقة من
حولنا أَن تنام... امتلأنا بأَمسِ،
امتلأنا بوسواس جيتارةٍ لا سرير لها.
يا لها... مِنْ فَتَاةٍ خُلاَسيَّةٍ تبعت ظلَّها.
يا لها... من هياجٍ يُمزِّقُ ما يتناثر من
وَرَقِ الورد حول السياج. فنامي
على نَفَسي نَفَساً ثانياً قبل أَن يفتح
الأَمسُ نافذتي كُلَّها. ليس لي طائرٌ
وطنيٌّ، ولا شَجَرٌ وطنيٌّ، ولا زَهْرَةٌ
في حديقة منفاك. لكنني ـ ونبيذي

يُسَافِرُ مثلي ـ أُقاسِمُكِ الغَدَ والأَمس.
لولاك لولا الرذاذُ الذي يتلألأ في نَمَش
الضوء ما بين نهديك، لانحرفتْ لُغتي
عن أُنوثتها. كم أَنا والقصيدة أُمُّك،
وآبناك، نغفو على شَادِنَيْ ظَبْيَةٍ
تَوْأَمَيْن!

سوناتا [III]

أُحبُّ من الليل أَوَّلَهُ، عندما تأتيان معا
يداً بيد، ورويداً رويداً تَضُمَّانِني مَقْطَعاً مقطعا
تطيران بي، فوق. يا صاحبيَّ أَقيما ولا تُسْرِعا
وناما على جانبيَّ كمثل جناحيْ سُنُونُوَّة مُتْعَبَهْ

حريرُكما ساخِنٌ. وعلى الناي أَن يتأَنَّى قليلا
ويصقُلَ سُوناتَةً، عندما تقعان عليَّ غموضاً جميلا
كمعنى على أُهْبَةِ العُرْيِ، لا يستطيعُ الوصولا

ولا الانتظارَ الطويلَ أَمامَ الكلام، فيختارني عَتَبهْ

أُحبُّ من الشعر عَفْوِيَّةَ النثر والصورةَ الخافيةْ
بلا قَمَرٍ للبلاغةِ: حين تسيرين حافيةً تترُكُ القافية
جِماعَ الكلام، وينكسِرُ الوَزْنُ في ذروة التجربةْ

قليلٌ من الليل قربك يكفي لأخرج من بابلي
إلى جوهري ـ آخري. لا حديقةَ لي داخلي
وكُلُّكِ أَنتِ. وما فاض منك «أَنا» الحُرَّةُ الطيِّبةْ

خُذي فرسي
وآذبحيها ...

أَنتِ، لا هَوَسي بالفتوحات، عُرْسي
تَرَكْتُ لنفسي وأقرانها من شياطين نفسِكِ
حُريَّةَ الامتثال لما تطلبين،
خُذي فَرَسي
وآذبحيها،
لأَمشي مثلَ المُحَارِبِ بَعْدَ الهزيمةِ
من غَيْرِ حُلم وحسٍّ ...
سلاماً على ما تُريدين من تَعَبِ

للأَمير الأسير، ومن ذهبٍ لاحتفال
الوصيفات بالصيف. أَلْفَ سلام عَلَيْكِ
جميعك حافلةً بالمُريدين من كُلِّ جنٍّ وإنسٍ،
سلاماً على ما صَنَعْتِ بنفسك من
أَجلِ نفسك: دَبُّوسُ شَعْرِكِ يكسر
سيفي وتُرْسي
وزرُّ قميصك يحمل في ضَوْئه
لفظةَ السرِّ للطير من كُلِّ جنسٍ،
خُذي نَفَسِي أَخْذَ جيتارَةٍ تستجيبُ
لما تطلبين من الريح. أَندلسي كُلُّها
في يديك، فلا تَدَعي وَتَراً واحداً
للدفاع عن النفس في أَرْض أَندَلُسِي
سوف أُدرك، في زمن آخر،
سوف أدرك أَني انتصرتُ بيأسي
وأَني وجدت حياتي، هنالك

خارجها، قرب أَمسي
خذي فَرسي
وآذبحيها، لأَحمل نفسيَ حيّاً ومَيّتاً،
بنفسي...

أَرض الغريبة/
أَرض السكينة

فيَّ، مثلكِ، أَرضٌ على حافَّةِ الأرضِ
مأهُولَةٌ بكِ أَو بغيابكِ. لا أَعرفُ
الأُغنيات التي تجْهَشين بها، وأَنا سائرٌ
في ضبابكِ. فلتَكُنِ الأَرضُ ما
تومئين إليه... وما تفعلينَهْ

جنوبيَّةٌ،
لا تكفُّ عن الدَوَران على نفسها
وعليك. لها موعدانِ قصيرانِ حول

السماء: شتاءٌ وصَيْفٌ. وأَمَّا الربيعُ
وأَطوارُهُ، فَهْوَ شَأْنُكِ وَحْدَكِ.
قُومي إلى أَيَّةِ آمرأةٍ فيك تنتشرِ
المرغريتا على كُلّ نافِذَةٍ في المدينهْ

مُذهَّبَةٌ،
مثل صَيْفِ الأميرِ الصغير. وأَمَّا
الخريفُ وتأويلُهُ ذَهَباً مُتْعَباً، فهو
شأني أَنا، حين أُطْعِمُ طَيْرَ الكنائسِ
خُبْزي. وأنسى وأَنتِ تسيرين بين
التماثيل حريَّةَ الحَجَرِ المرمرِيّ، وأَتْبَعُ
رائحةَ المندرينهْ

مسافرةٌ،
حول صُورَتها في مراياكِ: «لا

أُمَّ لي يا آبْنَتي فَلِدِيني هنا»
هكذا تَضَعُ الأرضُ في جَسَدٍ سرّها،
وتُزوِّجُ أُنثى إلى ذَكَرٍ. فخذيني
إليها إليكِ إليَّ. هُنَاكَ هُنا. داخلي
خارجي. وخُذيني لتَسْكُنَ نفسي
إليكِ، وأَسْكُنَ أَرضَ السكينهْ

سَمَاوِيَّةٌ،
لَيْس لي ما أَقولُ عن الأرض فيكِ
سوى ما يقولُ الغريبُ: سَمَاوِيَّةٌ ...
رُبَّما يُخْطِئُ الغُرَباءُ بلفظِ حُروفٍ آراميَّةٍ.
رُبَّما يَصْنَعُون إلٰهَتَهُمْ من مَوَادَّ
بدائيَّةٍ وَجَدوها على ضفَّة النهر،
لكنهُم يُتْقِنُونَ الغناءَ: سماويَّةٌ
هٰذِهِ الأرضُ مِثْلُ سَحَابٍ خَفِيفٍ

تَبَخَّرَ من ياسمينهْ

مجازيَّةٌ،
كالقصيدةِ قبل الكتابةِ: «لا أَبَ
لي يا بُنَيَّ، فَلِدْني» تقولُ لِيَ الأرضُ
حين أَمرُّ خفيفاً على الأرض، في
لَيْل بِلَّوْرِكِ المتلالىء بين الفراشات.
لا دَمَ فوق المحاريثِ. عُذْرِيَّةٌ تتجدَّدُ
لا آسمَ لما ينبغي أن تكون عليه
الحياةُ سوى ما صَنَعْتِ بروحي وما تصنعينه...

حليب إنانا

لَكِ التَوْأمانِ: لَكِ النثرُ والشعرُ يَتَّحدان، وأَنتِ
تطيرين من زَمَنٍ نحو آخَرَ، سالمةً كاملةْ
على هَوْدَجٍ من كواكب قَتْلاَكِ - حُرَّاسِكِ الطّيبين
وَهُمْ يحملون سماواتِكِ السَبْعَ قافلةً قافلةْ.
رُعاةُ خُيُولِكِ بين نخيلِ يَدَيْكِ ونَهْرَيْكِ يقتربون
مِنَ الماء «أُولى الإلٰهات أكثرُهُنَّ امتلاءاً
بنا». خالِقٌ عاشِقٌ يَتَأمَّلُ أَفعالَهُ، فيُجَنُّ
بها ويَحِنُّ إليها: أَأَفعَلُ ثانيةً ما فَعَلْتُ؟
وكُتّابُ بَرْقِكِ يحترقون بحِبْرِ السماء، وأَحفادُهُمْ

يَنْشُرون السنونو على مَوْكب السُومريّة...
صاعدةً كانتِ السومريَّةُ، أَمْ نازلة

لَكِ، أَنتِ المَدِيدَة في البَهْوِ
ذاتِ القميص المُشَجَّر، والبنطلونِ
الرماديِّ، لا لمجازك، أوقظُ
برِّيَتي، وأَقولُ لنفسي: سيطلع
من عَتْمتي قَمَرُ...

دَعِي الماءَ ينزلْ من الأُفُق السومريّ
علينا، كما في الأَساطير. إنْ كانَ
قلبي صحيحاً كهذا الزجاجِ المحيطِ بنا
فامْلَئِيهِ بغيمكِ حتى يَعُودَ إلى أَهله
غائماً حالماً كصلاة الفقيرِ. وإنْ كانَ
قلبي جريحاً فلا تَطْعَنيه بقَرْنِ الغزال،

فلم تَبْقَ حول الفُرَات زهورٌ طبيعيَّةٌ
لـحُلُول دمي في الشقائق بعد الحروب.
ولم تَبْقَ في معبدي جَرَّةٌ لنبيذ الإلهاتِ
في سُومَرَ الأَبديَّة، في سُومَرَ الزائلةْ

لَكِ، أَنت الرشيقة في البَهْوِ
ذاتِ اليَدَيْنِ الـحَرِيرِيَّتَيْنِ
وخاصرة اللَهْوِ،
لا لرموزك،
أُوقظُ بريَّتي، وأَقول:
سأستلُّ هٰذي الغزالَةَ من سِرْبها
وأَطعن نفسي... بها!

لا أُريد لأُغنيَّة أَن تكون سريرك،
فليَصْقُلِ الثورُ، ثورُ العراقِ

المُجَنَّحُ قَرْنَيْهِ بالدَهْر والهَيْكَل المُتَصَدِّعِ
في فضّة الفجرِ. وليَحْمِلِ الموتُ آلَتَهُ
المعدنيَّةَ في جَوْقة المنشدين القُدامى
لشمسِ نَبُوخَذنَصَّر. أَما أَنا، المتحدِّر
من غير هذ الزمان، فلا بُدَّ لي
من حِصَانٍ يُلائم هذا الزفاف. وإنْ كانَ
لا بُدَّ من قَمَرٍ فَليكُنْ عالياً... عالياً
ومن صُنْعِ بَغْدادَ، لا عربيّاً ولا فارسياً
ولا تدَّعِيهِ الإلهاتُ من حولنا. وليَكُنْ خالياً
من الذكريات وَخَمْرِ المُلُوك القدامى،
لِنُكْمِلَ هذا الزفافَ المُقَدَّسَ، نكملُهُ يا ٱبْنَةَ
القمر الأبَديِّ هنا في المكان الذي نَزَّلَتْهُ
يداكِ على طَرَفِ الأرض من شُرْفَة الجنَّة الآفلة! ...

لَكِ، أنت التي تَقْرَئينَ

الجريدةَ في البَهْو،
أَنتِ المُصَابةِ بالإنفلُوَنْزا
أَقولُ: خُذِي كأسَ بابُونجٍ ساخنٍ
وَخُذي حَبَّتَيْ «أسبرين»
ليهدأ فيكِ حليبُ إِنانا،
ونعرفَ ما الزَمَنُ الآن
في مُلْتَقَى الرافِدَيْن!

سوناتا [IV]

بِبُطءٍ أُمسِّدُ نومَكِ. يا آسمَ الذي أَنا فيهِ
من الحُلْم نامي. سيلتحِفُ الليلُ أَشجارَهُ، وسيغفو
على أَرضه سيّداً لغيابٍ قليل. ونامي لأَطفو
على نُقَط الضوء ترشَحُ من قَمَرٍ أحتويه...

يُخيِّمُ شَعْرُكِ فوق رُخَامك بَدْواً ينامون سَهْواً
ولا يحلمون. يُضِيئُك زَوْجا يَمَامِك من كَتِفَيْكِ
إلى أُقحوان منامك. نامي عليك وفيك. عليك

سلامُ السماوات والأرض تفتحُ أَبهاءها لَكِ بَهْواً فبهوا

يُغَلِّفُكِ النوم بي. لا ملائكةٌ يحملون السرير
ولا شَبَحٌ يُوقِظ الياسمينة. يا آسميْ المؤنَّث، نامي
فلا نايَ يبْكي على فَرَسٍ هاربٍ من خيامي

كما تحلمين تكونين، يا صَيْفَ أرضٍ شماليَّةٍ
يُخَدِّرُ غاباته الألفَ في سَطْوَةِ النوم. نامي
ولا توقظي جَسَداً يشتهي جَسَداً في منامي

لا أقل، ولا أكثر

أَنا آمرأةٌ. لا أَقلَّ ولا أَكثرَ
أَعيشُ حياتي كما هِيَ
خَيْطاً فَخَيْطاً
وأَغزِلُ صُوفي لألبسَهُ، لا
لأُكملَ قصَّةَ «هُوميرَ»، أَو شمسَهُ
وأَرى ما أَرى
كما هُوَ، في شَكْلِهِ
بيد أَنِّي أُحدِّقُ ما بين حينٍ
وآخرَ في ظلِّهِ

لأُحِسَّ بنبضِ الخسارةِ،
فاكتُبْ غداً
على وَرَقِ الأمس: لا صَوْتَ
إلاّ الصدى.
أُحبُّ الغموضَ الضروريَّ في
كلمات المسافر ليلاً إلى ما آختفى
من الطير فوق سُفُوح الكلام
وفوق سُطُوح القُرى
أَنا امرأة، لا أَقلَّ ولا أكثرَ

تُطَيِّرُني زَهْرَةُ اللوز،
في شهر آذار، من شرفتي
حنيناً إلى ما يقول البعيدُ:
«آلمسيني لأُوردَ خيليَ ماء الينابيع»
أَبكي بلا سَبَبٍ واضح، وأُحبُّكَ

أَنْتَ كما أَنتَ، لا سَنَداً
أَو سُدَى
ويطلع من كتفيَّ نهارٌ عليك
ويهبط، حين أَضمُّكَ، ليلٌ إليك
ولستُ بهذا ولا ذاك
لا، لستُ شمساً ولا قمراً
أَنا امرأةٌ، لا أَقلَّ ولا أكثرَ

فكُنْ أَنتَ قَيْس الحنين،
إذا شئتَ. أَمَّا أَنا
فيُعجِبُني أَن أُحَبَّ كما أَنا
لا صُورَةً
مُلَوَّنَةً في الجريدة، أو فكرةً
مُلَحّنةً في القصيدة بين الأَيائلِ...
أَسْمَعُ صرخة ليلى البعيدة

من غرفة النوم: لا تتركيني
سجينةَ قافيةٍ في ليالي القبائلِ
لا تتركيني لهم خبرا...
أَنا آمرأةٌ، لا أَقلَّ ولا أكثرَ

أَنا مَن أَنا، مثلما
أَنت مَنْ أَنت: تسكُنُ فيَّ
وأَسكُنُ فيك إليك ولَكْ
أُحبّ الوضوح الضروريَّ في لغزنا المشترك
أَنا لَكَ حين أَفيضُ عن الليل
لكنني لَسْتُ أَرضاً
ولا سَفَراً
أَنا آمرأةٌ، لا أَقَلَّ ولا أكثرَ

وَتُتْعبُني

دَوْرَةُ القَمَر الأنثويّ
فتمرضُ جيتارتي
وَتَراً
وَتَراً
أنا آمرأةٌ،
لا أَقلَّ
ولا أكثرَ!

أُغنية زفاف

وانتقلتُ إليكَ، كما انتقل الفلكيّونَ
من كوكبٍ نحو آخرَ. روحي تُطلُّ
على جسدي من أَصابعك العَشْر.
خُذْني إليك، آنطلق باليمامة حتى
أَقاصي الهديل على جانبيك: المدى
والصدى. وَدَعِ الخَيْلَ تركُضْ ورائي
سدى. فأنا لا أَرى صورتي، بَعْدُ،
في مائها... لا أَرى أَحدا

لا أَرى أَحداً، لا أَراكَ. فماذا
صنعتَ بحريتي؟ مَنْ أَنا خلف
سُورِ المدينةِ؟ لا أُمَّ تعجنُ شَعْري
الطويلَ بحنّائها الأَبديّ، ولا أُخْتَ
تضفِرُهُ. مَنْ أَنا خارج السور بين
حقولٍ حياديَّةٍ وسماء رماديّةٍ. فلتكن
أَنتَ أُمِّيَ في بَلَد الغُرَبَاء. وخذني
برفق إلى مَنْ أَكونُ غدا

مَنْ أكونُ غداً؟ هل سأُولَدُ من
ضلعِكَ آمرأةً لا هُمُومَ لها غيرُ زينةِ
دُنْيَاكَ. أمْ سوف أَبكي هناك على
حَجَرٍ كان يُرْشِدُ غيمي إلى ماء بئرك؟
خذني إلى آخر
الأرض قبل طلوع الصباح على قَمَرٍ كان

يبكي دماً في السرير، وخُذْني برفق
كما تأخُذُ النجمةُ الحالمين إليها سُدىً
وسُدى

وسدىً، أَتطلَّعُ خلف جبال مُؤَاب،
فلا ريح تُرْجعُ ثوب العروس. أُحبُّكَ
لكنَّ قلبي يرنّ برجع الصدى ويحنُّ
إلى سَوْسَنٍ آخر. هل هنالك حُزْنٌ أَشدُّ
التباساً على النفس من فَرَح البنت
في عُرْسها؟ وأُحبك مهما تذكَّرْتُ
أَمسِ، ومهما تذكرتُ أَني نسيتُ
الصدى في الصدى

أَلصدى في الصدى، وانتقلتُ إليكَ
كما انتقلَ الاسمُ من كائنٍ نحو آخر.

كنا غريبين في بلدين بعيدين قبل قليل،
فماذا أكون غداةَ غد عندما أُصبحُ
اثنين؟ ماذا صَنَعْتَ بحُريَّتي؟ كلما
ازداد خوفيَ منك اندفعتُ إليك،
ولا فضل لي يا حبيبي الغريب سوى
وَلَعي، فلتكن ثعلباً طيِّباً في كرومي،
وحدِّق بخُضْرة عينيك في وجعي. لن
أعود إلى آسمي وبرِّيتي، أبداً
أَبداً
أَبدا.

تدبير منزلي

- ١ -

كم أَنا

في الصباح ذهبتُ إلى سوق يوم
الخميس. اشتريتُ حوائجنا المنزليّة،
واخترتُ أُوركيدَةً وبعثتُ الرسائل.
بلَّلني مَطَرٌ فامتلأتُ برائحة البرتقالة.
هل قُلْتَ ليْ مَرَّةً إنني نَخْلَةٌ حاملٌ،
أَم تخيَّلْتُ ذلك؟ إن لم تجدني
أَرفُّ عليك، فلا تَخْشَ ضَعْفَ الهواءِ،
وَنَمْ يا حبيبيَ نَوْمَ الهنا...

- ٢ -

كم أَنا؟

في الظهيرة، لَمَّعْتُ كُلَّ مراياي. أَعددتُ

نفسي لعيدٍ سعيدٍ. ونهداي، فَرْخا

يمامٍ لياليكَ يمتلئان بشهوة أَمس.

أَرى في عُروق الرخام حليبَ الكلام

الإباحي يجري ويصرخ بالشُعَراء

آكتبوني، كما قال ريتسوس. أَين

اختفيت وأَخفيت منفايَ عن رغبتي؟

لا أرى صُورَتي في المرايا، ولا صُورَةَ

آمرأةٍ من نساء أَثينا تُدِيرُ تَدَابِيرَها

العاطفيَّةَ مثلي هُنا.

- ٣ -

كم أَنا؟

في المساء، ذهبتُ إلى السينما

مع إحدى الصديقات. كان الهُنُودُ

القدامى يطيرون في زمن الحرب والسلم

كالشُّهُب الأَثريَّة، مثلي ومثلك.

حدَّقْتُ في طائرٍ فرأيتُ جناحَيْكَ

يرتديان جناحيّ في شجر الأكاليبتوس.

ها نحن ننجو نجاة الغبار من

النهر. مَنْ كان فينا الضحيّةَ فليَحلُمِ

الآن أكثرَ من غيره، بيننا.

- ٤ -

كم أَنا؟
بعد مُنْتَصفِ الليل، أَشْرَقَتِ
الشمسُ في دمنا
كم أنا أَنْتَ، يا صاحبي
كم أَنا! مَنْ أَنا!

سوناتا [V]

أَمسُّكِ مَسَّ الكمان الوحيد ضواحي المكان البعيد
على مَهلٍ يطلب النهرُ حصَّته من رذاذ المطرْ
ويدنو، رويداً رويداً، غَدٌ عابرٌ في القصيد
فأحملُ أَرضَ البعيد وتحملني في طريق السفرْ

على فَرَسٍ من خصالك تنسجُ روحي
سماء طبيعيَّة من ظلالك، شرنقةً شرنقةْ
أَنا آبن فعالك في الأرض، وآبنُ جروحي
وقد أَشعلَتْ وحدها جُلَّنارَ بساتينك المغلقة

من الياسمين يسيل دمُ الليل أَبيضَ. عطرُكِ
ضعفي وسرُّكِ، يتبعني مثل لدغة أَفعى. وشَعْرُكِ
خيمةُ ريحٍ خريفيَّةِ اللونِ. أَمشي أَنا والكلامْ
إلى آخر الكلمات التي قالها بدويٌّ لزوجي حمام

أَجسُّكِ جَسَّ الكمان حريرَ الزمان البعيدْ
وينبت حولي وحولك عُشْبُ مكانٍ قديمٍ - جديدْ

طائران غريبان
في ريشنا

سمائي رماديَّةٌ. حُكَّ ظهري. وفُكَّ

على مَهَلٍ، يا غريبُ، جدائلَ شعري. وقُلْ

ليَ في مَ تُفَكِّرُ. قُلْ ليَ ما مَرَّ

في بال يُوسُفَ. قل ليَ بعضَ الكلام

البسيطِ... الكلامِ الذي تشتهي آمرأةٌ

أَن يُقَالُ لها دائماً. لا أُريدُ العبارةَ

كاملةً. أَكتفي بالإشارة تنثُرُني في مَهَبٌ

الفراشاتِ بين الينابيع والشمس. قُل ليَ

إنِّي ضروريَّةٌ لَكَ كالنوم، لا لامتلاء
الطبيعة بالماء حولي وحولك. وأبسُطْ
عليَّ جناحاً من الأزرق اللانهائيِّ...
إنَّ سمائي رماديَّةٌ،
ورماديَّةٌ مثل لَوْحِ الكتابة، قبل
الكتابة. فآكتُبْ عليها بحبر دمي أيَّ
شيء يُغيِّرُها: لفظةً... لفظتين بلا
هَدَفٍ مُسْرِفٍ في المجاز. وقُلْ إنَّنا
طائرانِ غريبانِ في أَرضِ مِصْرَ وفي
الشام.
قل إننا طائران غريبان في
ريشنا. واكتُبِ آسميَ وآسمَكَ تحت
العبارةِ. ما الساعة الآن؟ ما لَوْنُ
وجهي ووجهك فوق المرايا الجديدةِ؟
ما عُدْت أَملكُ شيئاً ليُشْبِهَني. هل

أَحبَّتك سيِّدةُ الماء أكثرَ؟ هل راوَدَتْك
على صخرة البحر عن نفسِكَ، آعْتَرِفِ
الآن أَنَّكَ مَدَّدْتَ تِيهَكَ عشرين عاماً
لتبقى أَسيرَ يديها. وقُلْ لِيَ في مَ
تُفَكِّرُ حين تصيرُ السماءُ رماديَّة اللون...
إنَّ سمائي رماديَّةٌ
صرتُ أُشْبهُ ما ليس يشبهني.
هل تريدُ الرجوع إلى ليل منفاك
في شَعْر حُوريّةٍ؟ أَم تريد الرجوع
إلى تين بيتك. لا عَسَلٌ جارحٌ للغريب
هنا أَو هناك. فما الساعَةُ الآن؟
ما آسمُ المكان الذي نحن فيه؟ وما
الفرق بين سمائي وأَرضك. قل لِيَ
ما قال آدَمُ في سَرِّه. هل تَحَرَّرَ
حين تَذَكَّرَ. قل أَيّ شيء يُغَيِّر لون

السماء الرماديَّ. قُلْ ليَ بعضَ الكلام
البسيط، الكلام الذي تشتهي امرأةٌ
أَن يُقال لها بين حينٍ وآخرَ. قُلْ
إنَّ في وسع شخصين، مثلي ومثلك،
أَن يحملا كل هذا التشابه بين الضباب
وبين السراب، وأَن يَرْجِعَا سالمين. سمائي
رماديَّةٌ، فبماذا تفكِّرُ حين تكونُ السماءُ
رماديَّةً؟

لم أنتظر أحداً

سأَعرفُ، مهما ذَهَبْتَ مَعَ الريح، كيفَ
أُعيدُكَ. أَعرفُ من أَين يأتي بعيدُكَ.
فاذهَبْ كما تذهبُ الذكرياتُ إلى بئرها
الأَبديَّةِ، لن تَجِدَ السومريَّةَ حاملةً جَرَّةَ
للصدى في انتظارِكَ
أَمَّا أَنا، فسأعرف كيف أُعيدُكَ
فاذهبْ تقودُكَ ناياتُ أَهل البحار القدامى
وقافلةُ الملح في سَيْرِها اللانهائيِّ. واذهبْ
نشيدُكَ يُفْلِتُ منِّي ومنك ومن زَمَني،

باحثاً عن حصان جديدٍ يُرَقِّصُ إيقاعَهُ
الحُرَّ. لن تجد المستحيلَ، كما كان يَوْمَ
وَجَدْتُكَ، يوم وَلَدْتُكَ من شهوتي
جالساً في انتظارِك،

أَمَّا أنَا، فسأعرف كيف أُعيدُكَ،
وآذهب مع النهر من قَدَرٍ نحو
آخر، فالريحُ جاهزةٌ لاقتلاعك من
قمري، والكلامُ الأخيرُ على شجري جاهزٌ
للسقوط على ساحة التروكاديرو. تَلَفَّتْ
وراءك كي تجد الحُلْمَ، واذهب
إلى أَيِّ شَرْقٍ وغربٍ يزيدُك منفىً،
ويُبْعدُني خطوةً عن سريري وإحدى
سماوات نفسي الحزينةِ. إنَّ النهاية
أُختُ البداية، فاذهبْ تَجِدْ ما تركتَ
هنا، في انتظارك

لم أَنتظِرْكَ، ولم أَنتظر أَحداً.
كان لا بُدَّ لي أَن أُمشِّطَ شعري
على مَهَلٍ أُسْوَةً بالنساء الوحيدات
في ليلهنَّ، وأَن أَتدبَّرَ أَمري، وأكسِرَ
فوق الرخام زجاجةَ ماء الكولونيا، وأَمنعَ
نفسي من الانتباه إلى نفسها في
الشتاء، كأني أَقولُ لها: دَفِّئيني
أُدفِّئْكِ يا آمرأتي، وآعْتَني بيديك،
فما هو شأْنُهما بنزول السماء إلى
الأرض أَو رحْلةِ الأرض نحو السماء،
آعتني بيديك لكي تَحْمِلاَك «يَدَاكِ
هُما سَيِّداكِ» كما قال إيلور.. فاذهب
أُريدُكَ أو لا أريدُك.

لمَ أنتظِرْكَ، ولم أنتظر أَحداً.

كان لا بُدَّ لي أَن أَصبَّ النبيذَ
بكأسين مكسورتين، وأَمنعَ نفسي من
الانتباه إلى نفسها في انتظارك!

جفاف

هذه سَنَةٌ صَعْبَةٌ

لم يَعِدْنا الخريف بشيءٍ

ولم ننتظِرْ رُسُلاً

والجفافُ كما هُوَ: أَرضٌ مُعَذَّبَةٌ

وسماءٌ مُذَهَّبَةٌ،

فليكُنْ جَسَدي مَعْبَدِي

... وَعَلَيْكَ الوُصُولُ إلى خبز روحي

لتعرف نفسَكَ. لا حدَّ لي

إن أَردتُ:
أُوَسِّعُ حقلي بسنبلَةٍ
وأُوسِّعُ هذا الفضاء بتَرْغَلَّةٍ،
فليكن جَسَدي بَلَدي

والجفاف يُحَدِّقُ في النهر،
أَو يتطلَّعُ نحو النخيلِ
ويُخْطىءُ بئري العميقة،
لا حَدَّ لي بكَ...
إنَّ السماءَ حقيقيَّةٌ في الخريف
تخيَّلْ، ولو مَرَّةً، أَنَّكَ آمرأةٌ
لترى ما أَرى.
جسدي سيِّدي

والجفافُ على حاله: كُلَّما

جَفَّتِ الفكرةُ ازدهَرَتْ جوقةُ
المنشدين المريدين: ماء، وماء
فما حاجتي للنُبُوءةِ؟ إنَّ الملائكةَ
الطيِّبين ضيوفٌ على غيمة الحالمين.
وما حاجتي لكتابِكَ ما دام ما بكَ... بي؟
جَسَدي يَتَفتَّحُ في جَسَدي

والجفافُ يودِّعُ سَبْعَ السنين العجاف
فلا بُدَّ من هُدْنَةٍ في المدينة،
لا بُدَّ من ماعز يَقْضِمُ العُشْبَ
من كُتُب البابليين أَو غيرهم،
كي تصير السماءُ حقيقيةً...
فأَضِيءْ عَتْمتي ودمي بنبيذكَ
وأسْكُنْ، معي، جسدي!

سوناتا [VI]

صُنَوْبَرَةٌ في يمينك. صَفْصَافَةٌ في شمالك. هذا
هُوَ الصيفِ: إحدى غزالاتك المائةِ استسلمت للندى
ونامت على كَتِفِي، قُرْبَ إحدى جهاتك، ماذا
لو انتبَهَ الذئبُ، واحترقتْ غابةٌ في المدى

نعاسُك أقوى من الخوف. بريَّةٌ من جمالكِ
تغفو، ويصحو ليحرس أَشجارَها قمرٌ من ظلالك
ما آسمُ المكان الذي وَشمَتْهُ خُطَاكِ على الأرض
أَرضاً سماويَّة لسلام العَصَافير، قرب الصدى؟

وأَقوى من السيف نومُك بين ذراعيك مُنْسَابَتَيْن
كنهرينِ في جنَّة الحالمينَ بما تصنعينَ على الجانبين
بنفسِكِ محمولةً فوق نفسك. قد يحمل الذئبُ ناياً
ويبكي على ضفَّة النهر: ما لم يُؤَنَّثْ... سُدَى

قليلٌ من الضعف في الاستعارة يكفي غدا
لينضج توتُ السياج، وينكسِرَ السَيْفُ تحت الندى

رزق الطيور

رُزقتُ مع الخبز حُبَّكْ
ولا شأن لي بمصيريَ،
ما دام قُرْبَكْ
فخُذْهُ إلى أَيِّ معنى تريدُ
معي، أَو وحيداً
ولا بَيْتَ أَقرَبَ ممَّا أُحِسُّ به
هٰهُنا في الربيع السريع
على شجر الآخرين...

رُزِقْتُكَ أُماً، أَباً، صاحباً
وأَخاً للطريق، ولا تحمل الطَيْرُ
أكثرَ من وُسْعها: ريشَها والحنين
وحبَّةَ قمحٍ ضروريَّةً للغناء، فكن
في سمائي كما
أَنا في سمائك، أَو بعض ذلك،
كُنْ يا غريب المُوَشَّح لي. مثلما
أَنا لَكَ: مائي لمائك، ملحي
لملحك، وآسمي على آسمكَ تعويذةٌ
قد تُقَرِّبنا من تلال سَمَرقَنْدَ
في عصرها الذهبيِّ. فلا بُدَّ مني
ولا بُدَّ منك، ولا بُدَّ من آخرين
لنسمع أَبواق إخوتنا السابقين
وهم يمتطون ظهور الخيول، من الجانبين
ولا يرجعون. فكن يا غريبُ سلامَ

الغريبةِ في هُدْنَةِ المُتْعَبين
وكن حُلْمَ يقظتها، كُلَّما
أَلَمَّ بها قَمَرٌ عائدٌ من أَريحا، كما
تعود الإلٰهاتُ بعد الحروب إلى الحالمين
فكُلٌّ هُنَاكَ هنا. وأَنا
لا أُحبّ الرجوع إلى نجمتي
بعدما كبرت حكمتي، هاتِ
هات البعيد إلى خيمتي سُلّماً
لنصعد أعلى كغُصْنَيْ بَتُولا على
حائط الآخرين [ونحن نصير غداً آخرين]
فلا بَيْتَ أَقرَبَ مما أُحسُّ به هٰهنا
وأَنا حاملٌ بالربيع السريع
رَزقت مع الخبز حُبَّكْ
ولا شأن لي بمصيريَ
ما دام قُرْبَكْ

ويا ليتني لم أُحبَّك
يا ليتني لم أُحبَّكْ!

رُبَّما، لأَن الشتاء تأخَّر

- ١ -

أَقَلُّ من الليل تحت المَطَرْ
حنينُ خُماسِيّةٍ
إلى أَمسها المُنْتَظَر،
وأكثرُ ممَّا تقولُ يَدٌ لِيَدٍ
على عَجَلٍ في مَهَبِّ السَفَرْ

- ٢ -

شِماليَّةٌ هٰذِهِ الريحُ
فليكتبِ العاطفيّون، أَهْلُ الكلامِ الجريح،
رسائلَ أُخرى إلى ما وراءَ الطبيعةِ
أَمَّا أَنا
فَسَأَرْمي بنفسيْ إِلى الريح.../

- ٣ -

لا لَيْلَ عِنْدَكِ، إذ تَدْلِفينَ
إلى الليل وَحْدَكِ. أَنتِ هُنا
تَكْسِرِينَ بنظرتِكِ الوَقْتَ. أَنتِ
هنا في مكانك بعدي وبعدك
لا أَنْتِ تنتظرين، ولا أَحَدٌ يَنْتَظِرْ

- ٤ -

لَعَلَّ خياليَ أَوضحُ من واقعي

والرياحُ شماليَّةٌ. لن أُحبَّكِ أكْثَرَ

إنْ لم تكوني معي

هنا، الآن ما بين أَيْقُونَتَيْنِ

وجيتارةٍ فَتَحَتْ جُرْحَها للقَمَرْ

ـ ٥ ـ

أَنا والمسيحُ على حالنا:
يَمُوتُ ويحيا، وفي نَفْسِهِ مريمُ
وأَحيا، وأَحْلُمْ ثانيةً أَنني أَحلُمُ
ولكنَّ حُلْمي سريعٌ كبرقيَّةٍ
تُذَكِّرُني بالأُخُوَّةِ بين السماوات والأرض.../

- ٦ -

مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ،
يصيرُ الحصى لُغَةً أَو صدى
والعواطفُ في مُتَنَاوَلِ كُلِّ يَدٍ.
ربما كان هذا الحنينُ طريقَتَنا في البقاء
ورائحة العُشْب بعد المَطَرْ

- ٧ -

بلا غايةٍ، وَضَعَتْنَا السماءُ
على الأرض إِلْفَيْن مؤتلفين وبآسمين مُخْتَلِفَيْنِ،
فلا آسميَ كان يُزَيِّنُ خاتَمَكِ الذهبيَّ
ولا آسْمُكِ كان يَرِنُّ
كقافيةٍ في كتاب الأَساطير.../

- ٨ -

أَمثالُنا لا يموتون حُبّاً،
ولو مَرَّةً، في الغناء الحديث الخفيف
ولا يقفون، وحِيدِين، فوق الرصيف
لأنَّ القطاراتِ أكثرُ من عَدَد المُفْرَدَات
وفي وُسْعنا دائماً أَن نُعِيدَ النظَرْ

- ٩ -

وأَمثالُنا لا يعودون إلّا

لِيَسْتَحْسِنُوا وَقْعَ أَقدامهم

على أَرض أَحلامهم،

أَو ليعتذروا للطفولة عن حِكْمَةٍ

بلغوها على حافة البئر.../

- ١٠ -

بي مثلُ ما بِكِ من وَحَم الليلِ
يصرُخُ شَخْصٌ: «أَنا آمرأتي
في المنام. وتصرخ أُنثى: «أنا رَجُلي»
أَيُّنا أَنتَ. أَنتِ؟ نَضِيقُ
نَضِيقُ، ويتَّسِعُ المُنْحَدَرْ.../

- ١١ -

أَضُمُّكِ، حتى أَعود إلى عَدَمي
زائراً زائلاً. لا حياةَ ولا
موتَ في ما أُحِسُّ بِهِ
طائراً عابراً ما وراء الطبيعةِ
حين أَضُمُّكِ.../

- ١٢ -

ماذا سنفعلُ بالحُبِّ؟ قُلْتِ
ونحن ندسُّ ملابسنا في الحقائبِ
نأخذُهُ مَعَنا، أَمْ نُعَلِّقُهُ في الخزانةِ؟
قلتُ: ليَذْهَبْ إلى حيثُ شاءَ
فقد شبَّ عن طَوْقنا، وانتشرْ

- ١٣ -

هَشَاشَتُنا لُؤْلُؤُ الخاسرين
وأَمثالنا لا يزورون حاضِرَهُمْ أَبداً
لا يريدون أَن يبلغوا بلداً
في الطريق إلى الريح، حيث وُلدنا
على دفعتين: أَنا وجمالُك.../

- ١٤ -

قرْبَ حياتي نَبَتٌّ كإحدى
حدائقِ قَيْصَرَ. كَمْ تَرَكَ الأَقوياءُ
لنا شجراً. كَمْ قطفتُ زنابقَ
سريَّةً من سياجك. كَمْ كنتِ
معنى وصورتَه في أعالي الشَجَرْ

- ١٥ -

أَضمُّكِ، بيضاءَ سمراءَ، حتى التلاشي
أُبَعْثُرِ لَيْلَكِ. ثمَّ أَلُمُّكِ كُلَّكِ...
لا شيءَ فيك يزيدُ وينقُصُ عن
جَسَدي. أَنت أُمُّك وابنتُها
تُولَدِين كما تطلبين من الله.../

- ١٦ -

ماذا سنصنع بالأمس؟ قُلتِ
ونحن نُهيل الضباب على غدنا
والفُنُونُ الحديثةُ ترمي البعيدَ إلى
سلَّة المهملات. سيتبعُنا الأمْسُ،
قلتُ، كما يتبع النَهَوَنْدُ الوَتَرْ

- ١٧ -

على الجسر، قُرْب حياتِكِ، عشتُ
كما عاش عازفُ جيتارةٍ قرب نجمته.
غنِّ لي مائةً من أَناشيد حُبِّكَ تَدْخُلْ
حياتي! فغنَّى عن الحبِّ تسعاً
وتسعين أُغنيَّةً، وانتحرْ

- ١٨ -

يمرُّ الزمانُ بنا، أَو نمرُّ به

كضيوفٍ على حنطة الله

في حاضرٍ سابقٍ، حاضر لاحق،

هكذا هكذا نحن في حاجة للخرافة

كي نتحمَّلَ عبءَ المسافة ما بَيْن بايين.../

- ١٩ -

منفىً سخيٌّ على حافَّةِ الأرض
لَوْ لم تكوني هُنَاكَ لَمَا
أَنشأَ الغُرَباءُ القلاعَ وشاعَ التصوُّفُ،
لو لم تكوني هنا لاكتَفيْتُ بما
يصنعُ النهرُ بي... وبوجه الحَجَرْ

- ٢٠ -

ويكفي، لأَعرفَ نفسيْ البعيدةَ، أَن
تُرْجِعِي لِيَ بَرْقَ القصيدةِ حين انقسمتُ
إلى آثنين في جَسَدِكْ
أَنا لَكِ مِثْلُ يَدِكْ
فما حاجتي لغدي
بعد هذا السفر؟

من أنا، دون منفى؟

غريبٌ على ضفة النهر، كالنهر ... يَرْبِطُني
باسمك الماءُ. لا شيءَ يُرْجعُني من بعيدي
إلى نخلتي: لا السلامُ ولا الحربُ. لا
شيء يُدْخِلُني في كتاب الأَناجيلِ. لا
شيء... لا شيء يُومِضُ من ساحل الجَزْر
والمدّ ما بين دجْلَةَ والنيلِ. لا
شيء يُنْزِلُني من مراكب فرعون. لا
شيء يَحْملني أو يُحَمِّلني فكرةً: لا الحنينُ
ولا الوَعْدُ. ماذا سأفعل؟ ماذا

سأفعل من دون منفى، وليلٍ طويلٍ
يُحَدِّقُ في الماء؟

يربطُني
بآسمكِ
الماءُ ...
لا شيء يأخذني من فراشات حُلْمي
إلى واقعي: لا الترابُ ولا النارُ. ماذا
سأفعل من دون وَرْدِ سَمَرْقَنْدَ؟ ماذا
سأفعل في ساحةٍ تصقُلُ المُنْشدين بأحجارها
القمرِّيةِ؟ صِرْنا خَفِيفَيْنِ مثلَ منازلنا
في الرياح البعيدةِ. صرنا صَدِيقَيْنِ للكائنات
الغريبةِ بين الغيوم... وصرنا طَلِيقَيْنِ من
جاذبيَّة أْرضِ الهُوِيَّةِ. ماذا سنفعل... ماذا
سنفعل من دون منفى، وليلٍ طويلٍ

يُحَدِّقُ في الماء؟

يربطني
بآسمك
الماءُ ...
لم يبقَ منّي سواكِ، ولم يبق منك
سوايَ غريباً يُمَسِّدُ فَخْذَ غريبتِهِ: يا
غريبةُ! ماذا سنصنع في ما تبقّى لنا
من هُدُوءٍ... وقَيْلُولَةٍ بين أسطورتين؟
ولا شيء يحمِلُنا: لا الطريقُ ولا البيتُ.
هل كان هذا الطريق كما هُوَ، منذ البداية،
أَم أَنَّ أَحلامنا وَجَدَتْ فرساً من خيول
المَغُول على التلِّ فآسْتَبْدَلَتْنا؟
وماذ سنفعلُ؟
ماذا
سنفعلُ

من
دون
منفى؟

أنا، وجميلُ بُثَيْنة

كَبِرْنا، أَنا وجميلُ بُثَيْنَةَ، كُلٌّ
على حِدَةٍ، في زمانين مُخْتَلِفَينْ...
هُوَ الوقْتُ يفعل ما تفعل الشمسُ
والريحُ: يَصْقُلُنا ثم يقتلُنا حينما
يحملُ العقلُ عاطفةَ القلبِ، أَو
عندما يبلُغُ القلبُ حكمتَهُ

يا جميلُ! أَتكبَرُ مِثْلَكَ، مثلي،
بثينةُ؟

تكبَرُ، يا صاحبي، خارجَ القلب
في نَظَر الآخرين. وفي داخلي تستحمُّ
الغزالةُ في نبعها المتدفّق من ذاتها

هِيَ، أَم تلك صُورَتُها؟

إنها هِيَ يا صاحبي. دَمُها، لحمُها،
وٱسمُها. لا زمان لها. رُبّما استَوْقَفَتْني
غداً في الطريق إلى أَمسها

هل أَحبَّتْكَ؟ أَم أَعْجَبَتْها استعارتُها
في أَغانيك، لؤلؤةً كُلَّما حدَّقتْ في
لياليكَ وٱغرورقتْ ... أَشرقَتْ قمراً قلبُهُ
حَجَر يا جميل؟

هو الحُبُّ، يا صاحبي، موتُنا المُنْتَقى
عابرٌ يَتَزَوَّجُ من عابرٍ مُطْلقاً ...
لا نهايةَ لي، لا بدايةَ لي. لا
بُثَيْنَةُ لي أَو أَنا لبثينةَ. هٰذا
هو الحبُّ، يا صاحبي. ليتني كُنْتُ
أَصغرَ منِّي بعشرين باباً لكان
الهواءُ خفيفاً عليَّ، وصورتُها الجانبيَّةُ
في الليل أَوضحَ من شامةٍ فوق
سُرَّتها...

هل هَمَمْتَ بها، يا جميل، على عكس
ما قال عنك الرُواةُ، وهَمَّتْ بكَ؟

تزوَّجتُها. وهَزَزْنا السماءَ فسالَتْ
حليباً على خُبْزِنا. كُلَّما جئتُها فَتَّحَتْ

جَسَدي زهرةً زهرةً، وأَراق غدي
خمرَهُ قطرةً قطرةً في أَباريقها

هل خُلِقْتَ لها، يا جميل،
وتبقى لها؟

أُمِرْتُ وعُلِّمْتُ. لا شأنَ لي
بوجودي المُراقِ كماءٍ على جلدها
العِنَبيّ. ولا شأنَ لي بالخلود
الذي سوف يتبعُنا ككلاب الرعاة.
فما أَنا إلاَّ كما خَلَقَتْني بُثَيْنَةُ

هل تشرَحُ الحُبَّ لي، يا جميلُ،
لأَحفظَهُ فكرةً فكرةً؟

أَعْرَفُ الناس بالحُبِّ أكثرُهُمْ حَيْرَةً،
فاحترِقْ، لا لتعرف نفسك، لكن
لتُشْعِلَ لَيْلَ بُثَيْنَةَ ...

أَعلى من الليل، طار جميل
وكسَّر عُكَّازتَيْه. ومال على أُذُني
هامساً: إن رأيت بثينةَ في آمرأةٍ
غيرها، فاجعل الموت، يا صاحبي،
صاحباً. وتلألأ هنالك، في آسم
بثينة، كالنون في القافيةْ!

قناع ... لمجنون ليلى

وجدتُ قناعاً، فأعجَبَني أَنْ
أكون أَنا آخَري. كنتُ دُونَ
الثلاثين، أَحْسَبُ أَنَّ حدودَ
الوجود هِيَ الكلماتُ. وكنتُ
مريضاً بليلى كأيِّ فتىً شَعَّ
في دَمِهِ الملحُ. إنْ لم تكُنْ هِيَ
موجودةً جسداً فلها صُورَةُ الروح
في كُلِّ شيء. تُقَرِّبُني من
مدار الكواكب. تُبْعِدُني عن حياتي

على الأرض. لا هِيَ مَوْتٌ ولا
هي ليْلى. «أَنا هُوَ أَنتِ،
فلا بُدَّ من عَدَمٍ أَزرقٍ للعناق
النهائيِّ». عَالجني النهرُ حين
قذفتُ بنفسي إلى النهر مُنْتَحِراً،
ثم أَرجعني رَجُلٌ عابر، فسألتُ:
لماذا تُعيد إليَّ الهواء وتجعلُ
موتيَ أَطولَ؟ قال: لتعرف
نفسك أَفضَلَ... مَنْ أَنتَ؟
قلتُ: أَنا قَيْسُ ليلى، وأَنتَ؟
فقال: أَنا زوجُها

ومَشَيْنا معاً في أَزقَّةِ غرناطةٍ،
نَتَذَكَّرُ أَيَّامَنا في الخليج... بلا أَلَمٍ
نتذكَّر أَيَّامنا في الخليج البعيد.

□

أَنا قَيْسُ ليلى

غريبٌ عن آسمي وعن زمني

لا أَهزُّ الغيابَ كجذع النخيل

لأَدفع عني الخسارةَ، أَو استعيدَ

الهواء على أَرض نَجْدٍ. ولكنني،

والبعيدُ على حالِهِ وعلى كاهلي،

صوتُ ليلى إلى قلبها

فلتكن للغزالة بريَّةٌ

غيرُ دربي إلى غَيْبها

هل أُضيِّقُ صحراءها أم أَوسِّعُ لَيْلي

لتجمعنا نجمتان على دربها؟

لا أَرى في طريقي إلى حُبِّها

غيرَ أَمسٍ يُسَلِّي بشِعري القديمِ

نُعَاسَ القوافل في ليلها، ويُضيءُ

طريقَ الحريرِ بجرحي القديم

لعلَّ التجارةَ في حاجةٍ هِيَ أَيضاً
لما أَنا فيه. أنا من أولئك،
ممَّنْ يموتون حين يُحبُّونَ. لا شيءَ
أَبعدُ من فَرَسي عن معلَّقة الجاهليِّ
ولا شيءَ أَبعدُ من لُغَتي عن أمير
دِمَشْقَ. أَنا أَوَّلُ الخاسرين. أنا
آخرُ الحالمين وعَبْدُ البعيد. أَنا
كائنٌ لم يكن. وأَنا فكرةٌ للقصيدةِ
ليس لها بَلَدٌ أَو جَسَدْ
وليس لها والدٌ أَو وَلَدْ.

□

أَنا قيس ليلى، أنا
وأَنا ... لا أَحَدْ!

درس من كاما سوطرا

بكأس الشراب المرصَّع باللازوردِ
آنتظرها،
على بركة الماء حول المساء وزَهْر الكُولُونيا
آنتظرها،
بصبر الحصان المُعَدّ لمُنْحَدرات الجبالِ
آنتظرها،
بذَوْقِ الأمير الرفيع البديع
آنتظرها،
بسبعِ وسائدَ مَحْشُوَّةٍ بالسحابِ الخفيفِ

آنتظرها

بنار البَخُور النسائيِّ ملءَ المكانِ

آنتظرها،

برائحة الصَنْدَلِ الذَكَريَّةِ حول ظُهُور الخيولِ

آنتظرها،

ولا تتعجَّلْ، فإن أقبلَتْ بعد موعدها

فانتظرها،

وإن أقبلتْ قبل موعدها

فانتظرها،

ولا تُجْفِل الطيرَ فوق جدائلها

وانتظرها،

لتجلس مرتاحةً كالحديقة في أَوْج زِينَتِها

وانتظرها،

لكي تتنفَّسَ هذا الهواء الغريبَ على قلبها

وانتظرها،

لترفع عن ساقها ثَوْبَها غيمةً غيمةً
وانتظرها،
وخُذْها إلى شرفة لترى قمراً غارقاً في الحليبِ
انتظرها،
وقدِّمْ لها الماءَ، قبل النبيذِ، ولا
تتطلَّعْ إلى تَوْأَمَيْ حَجَلٍ نائمين على صدرها
وانتظرها،
ومُسَّ على مَهَل يَدَها عندما
تَضَعُ الكأسَ فوق الرخامِ
كأنَّكَ تحملُ عنها الندى
وانتظرها،
تحدَّثْ إليها كما يتحدَّثُ نايٌ
إلى وَتَرٍ خائفٍ في الكمانِ
كأنكما شاهدانِ على ما يُعِدُّ غَدٌ لكما
وانتظرها

ولَمِّع لها لَيْلَها خاتماً خاتماً
وانتظرها
إلى أَن يقولَ لَكَ الليلُ:
لم يَبْقَ غيرُكُما في الوجودِ
فخُذْها، بِرِفْقٍ، إلى موتكَ المُشْتَهى
وانتظرها!...

طوقُ الحمامة الدمشقيّ

أ.

في دِمَشْقَ،
تطيرُ الحماماتُ
خَلْفَ سِياجِ الحريرِ
اْثْنَتَيْنِ ...
اْثْنَتَيْن ...

ب.

في دِمَشْقَ:

أَرى لُغَتي كُلَّها

على حبَّة القَمْحِ مكتوبةً

بإبرة أُنثى،

يُنَقِّحُها حَجَلُ الرافِدَيْن

ت.

في دِمَشْقَ:

تُطَرَّزُ أَسماءُ خَيْلِ العَرَبْ،

مِنَ الجاهليَّةِ

حتى القيامةِ،

أَو بَعْدها،

... بخُيُوطِ الذَهَبْ

ث.

في دِمَشْقَ:

تسيرُ السماءُ

على الطُرُقات القديمةِ

حافيةً، حافيةْ

فما حاجةُ الشُعَراءِ

إلى الوَحْيِ

والوَزْنِ

والقافِيَةْ؟

ج.

في دمَشْقَ:

يناُم الغريبُ

على ظلّه واقفاً

مثل مِئْذَنَةٍ في سرير الأَبد

لا يَحنُّ إلى بَلدٍ

أَو أَحَدْ ...

ح.

في دمَشْقَ:
يُواصِلُ فِعْلُ المُضَارِع
أَشغالَهُ الأُمويَّةَ:
نمشي إلى غَدِنا واثِقِينَ
من الشمس في أَمسنا.
نحن والأَبديَّةُ،
سُكَّانُ هذا البَلَدْ!

خ.

في دِمَشْقَ:

تَدُورُ الحوارات

بين الكَمَنْجَةِ والعُود

حَوْلَ سؤال الوجودِ

وحول النهاياتِ:

مَنْ قَتَلَتْ عاشقاً مارقاً

فَلَهَا سِدْرَةُ المنتهى!

د.

في دِمَشْقَ:
يُقَطِّعُ يوسُفُ،
بالنايَ،
أَضْلُعَهُ
لا لشيءٍ،
سوى أَنَّهُ
لم يَجِدْ قلبَهُ مَعَهُ

ذ.

في دِمَشْقَ:

يَعُودُ الكلامُ إلى أَصلِهِ،

آلماءِ:

لا الشِعْرُ شِعْرٌ

ولا النَثْرُ نَثْرٌ

وأَنتِ تقولين: لن أَدَعَكْ

فخُذْني اليكَ

وخُذْني مَعَكْ!

٠١

في دِمَشْقَ:

ينامُ غزالٌ

إلى جانب آمرأةٍ

في سرير الندى

فتخلَعُ فُسْتَانَها

وتُغَطِّي بِهِ بَرَدَى!

ز.

فِي دِمَشْقَ:
تُنَقِّرُ عُصْفُورَةٌ
ما تركتُ من القمحِ
فوق يدي
وتتركُ لي حَبَّةً
لتُريني غداً
غَدِي!

س.

في دِمَشْقَ:

تـدَاعِبُني الياسمينةُ:

لا تَبْتَعِدْ

وأُمشِ في أَثَري

فَتَغارُ الحديقةُ:

لا تقتربْ

من دَمِ الليل في قَمَري

ش.

في دِمَشْقَ:
أُسامِرُ حُلْمي الخفيفَ
على زَهْرة اللوزِ يضحَكُ:
كُنْ واقعياً
لأُزْهرَ ثانيةً
حول ماءِ آسمها
وكُنْ واقعيّاً
لأُعبر في حُلْمها!

ص.

في دِمَشْقَ:

أُعرِّفُ نفسي

على نفسها:

هٰهنا، تحت عَيْنَيْن لوزيَّتَيْن

نطيرُ معاً تَوْأَمَيْن

ونُرْجِىء ماضِينَا المشتركْ

ض.

في دِمَشْقَ:
يرقُّ الكلامُ
فأسمع صَوْتَ دَمٍ
في عُرُوق الرخام:
آخْتَطِفْني مِنَ آبني
تقولُ السجينةُ لي
أَو تحجَّرْ معي!

ط.

فِي دِمَشْقَ:
أَعدُّ ضُلُوعي
وأُرْجِعُ قلبي إلى خَبَبِهْ
لعلَّ التي أَدْخَلَتْني
إلى ظِلِّها
قَتَلَتْني،
ولم أَنْتَبِهْ ...

ظ.

في دِمَشْقَ:
تُعيدُ الغريبةُ هَوْدَجَها
إلى القافِلَةْ:
لن أَعودَ إلى خيمتي
لن أُعلِّقَ جيتارتي،
بَعْدَ هذا المساءِ،
على تينة العائلةْ ...

ع.

في دِمَشْقَ:

تَشِفُّ القصائدُ

لا هِيَ حِسِّيَّةٌ

ولا هِيَ ذهْنيَّةٌ

إنَّها ما يقولُ الصدى

للصدى...

غ.

في دِمَشْقَ:

تجفُّ السحابةُ عصراً،

فتحفُرُ بئراً

لصيف المحبِّينَ في سَفْح قاسْيُون،

والنايُ يُكْملُ عاداته

في الحنين إلى ما هُوَ الآن فيه،

ويبكي سدى

ف.

في دِمَشْقَ:
أُدوِّنُ في دَفْتَرِ آمرأةٍ:
كُلُّ ما فيكِ
من نَرْجسٍ
يَشْتَهِيكِ
ولا سُورَ، حَوْلَكِ، يحميكِ
مِنْ ليل فِتْنَتِكِ الزائدةْ

ق.

في دِمَشْقَ:

أَرى كيف ينقُصُ ليلُ دِمَشْقَ
رويداً رويداً
وكيف تزيدُ إلٰهاتُنا
واحدةْ!

ك.

في دِمَشْقَ:

يغنيِ المسافر في سرِّه:

لا أَعودُ من الشام

حياً

ولا ميتاً

بل سحاباً

يخفِّفُ عبءَ الفراشة

عن روحِيَ الشاردةْ



للشـاعـر

شـعـــر

- أوراق الزيتون
- عاشق من فلسطين
- آخر الليل
- حبيبتي تنهض من نومها
- العصافير تموت في الجليل
- أحبك، أو لا احبك
- محاولة رقم ٧
- تلك صورتها، وهذا انتحار العاشق
- أعراس
- مديح الظل العالي
- حصار لمدائح البحر
- هي أغنية، هي أغنية
- ورد أقل
- مأساة النرجس، ملهاة الفضة
- أرى ما أريد
- أحد عشر كوكباً
- ديوان محمود درويش [جزآن]
- لماذا تركتَ الحصان وحيدا

نـثـــر

- شيء عن الوطن
- وداعاً أيتها الحرب، وداعاً أيها السلام
- يوميات الحزن العادي
- ذاكرة للنسيان
- في وصف حالتنا
- عابرون في كلام عابر
- الرسائل [بالاشتراك مع سميح القاسم]

محمود درويش
سرير الغريبة

من أرض الخسارة وزمن الرماد والغربة المؤبدة وتراجع الشعر والنثر، يرفع محمود درويش نشيده أو قصائد هذا الديوان الجديد «سرير الغريبة».

ومحمود درويش الوريث الشرعي لإيقاع الشعر العربي، يستمر كما في ديوانه السابق «لماذا تركت الحصان وحيدا» مسائلاً أماكنه الأصلية في الواقع والتراث العربي المشرقي، حاشداً الكثير من الإشارات التاريخية والأسطورية: إلهات مصر وسومر، جميل بثينة، قيس ليلى، روما وقرطاج، نبوخذنصر، مستنفراً الأسماء والرموز كلها، في فعل يريد تأكيد الحضور وتثبيت الهوية في عالم يزداد غربة وقسوة يوماً بعد يوم.

وإذا كان محمود درويش - كما هو معروف - شاعراً كبيراً، فإنه يؤكد في هذا الديوان، بأنه مثقف كبير أيضاً وقارئ نهم. مما يشحن عبارته الشعرية، الشفافة والساحرة دوماً، بدراما تهزّ ضمير العصر ووجدانه.




1855132915